﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ [الصّافّات: 108 - 113]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

صِدقُ إبراهيمَ بلَّغَه مرتبةَ المحسنين، وبشَّرَهُ بإسحاقَ وبقاء الذِّكر في الصّالحين

لمّا فدى اللّه تعالى إسماعيل ﷺ بذبح عظيم؛ اسْتأنفَ تعظيمَ والدِه إبراهيم، بما يدُلُّ على تشريفِه وتكريمه في الدّارين، وهو جزاءٌ يجزي به اللّهُ المحسنينَ، الَّذين يمتثلون أوامرَ اللّه المنزلةَ، ولا يتَّبعون أهواءهم، وقد شهد أهلُ الدّيانات جميعًا لإبراهيم بأنَّه كان مِنَ الأنبياء الحنفاء الصّالحين، وشهد له اللّهُ بأنَّه من عباده المؤمنين، وأردف سياقُ الآيات الكلامَ عن هِبَة اللّهِ لإبراهيم، بعد كِبَره وعُقْم زوجته، حين بشَّره بإسحاق وجودًا، وبحاله نبوَّةً وصلاحًا، وأفاض على إبراهيمَ وإسحاق من بركات الدُّنيا مقامًا ورزقًا، ومن بركات الآخرة فوزًا ورفعةً، فَكَثُر نسلُهما الصّالح، وجعلَ من عَقبِهما أنبياءَ ورسلًا، محفوفين بالخيرات والبركات، وجعل منهم محسنين في أعمالهم، مؤمنين بربِّهم، ولم يمنع ذلك وجودُ ظالمين لأنفسهم ممَّن بدَّلوا المنهج، وعَصَوا اللّهَ فيما أمر، وزَجَر، فكان ظُلمُهم مبينًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَتَرَكۡنَا﴾: تَرَكَ الشَّيءَ يترُكُه تَرْكًا، وترك الشَّيء: خلّاه، وترْكُ الشَّيءِ: رفْضُهُ قصْدًا واخْتيارًا، أو قَهْرًا واضْطرارًا، فمِن الأوَّل: قولُه تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ [الدُّخان: 24]. ومن الثّاني: قولُه

تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدُّخان: 25]، ومنه: تَركةُ فلانٍ، لما يَخلُفُه بعد موتِه، وقد يقالُ في كلِّ فعلٍ ينتهي به إلى حالةٍ ما: تركتُه كذا، أو يجري مَجْرى جعلتُه كذا، نحو: تركتُ فلانًا وحيدًا[1]، وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، أي: تَرَكْنا عليه الذِّكرَ الجميلَ، لا يَذْكُرُه أحدٌ إلّا بخيرٍ إلى يومِ القيامة، ويُصلَّى عليه إلى يومِ القيامة[2].

2) ﴿وَبَٰرَكْنَا﴾: بارَكَ يُبارِكُ بَرَكةً وتَبْريكًا، والبَرَكةُ: ثبوتُ الخيرِ الإلهيِّ في الشَّيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، وسُمّيَ بذلك لثبوتِ الخيرِ فيه ثبوتَ الماءِ في البِرْكةِ، والمبارَكُ: ما فيه ذلك الخير، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50]، يقالُ: بارَكَ اللّهُ لكَ وفيكَ وعليكَ وباركَكَ، وتبارَكَ اللّهُ، أي: بارَكَ، مثلُ قاتلَ وتقاتلَ، إلّا أنَّ (فاعَلَ) يتعدَّى، و(تفاعَلَ) لا يتعدَّى، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: 1][3]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾، أي: أفَضْنا عليهما خيراتِ الدّينِ والدُّنيا، وبارَكْنا على إبراهيمَ في أولادِه، وعلى إسْحاقَ بأن أخرجْنا أنبياءَ بني إسرائيلَ من صُلْبه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الصِّدقُ مع اللهِ يُبلِّغُ صاحبَه مرتبةَ المُحسنين، ويَزُفُّ له البِشاراتِ بيقين

يَذْكر اللّهُ تعالى أنَّه أعطى إبراهيمَ ثناءً صادقًا في الآخِرين، كما كان في الأوَّلين، فكلُّ مَن بعدَه أحبَّهُ، وعَظَّمَهُ، وأثْنى عليه؛ لأنَّه من عبادِه المؤمنين بما أُمِروا به من الإيمان، الَّذي به بلغوا درجةَ اليقين[5]، وجاءت البِشارةُ بإسحاق، على أنَّه سيصيرُ نبيًّا من

(1) الرَّاغب، المفردات، والرَّازيّ، مختار الصِّحاح: (ترك).
(2) الزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 308، والبغويّ، معالم التَّنزيل: 23/ 68.
(3) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (برك).
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 534.
(5) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 648.

الصّالحين[1]، وأخبر أنَّه أحاط إبراهيمَ وإسحاقَ بالبَرَكة، الَّتي توحي بالنُّموِّ والزّيادة باستمرار الخير في ذُرّيَّتهما، حيثُ نشرَ اللّهُ من ذُرّيَّتهما ثلاثَ أُمَمٍ عظيمة: أُمَّةَ العربِ من ذُرّيَّةِ إسماعيل، وأُمَّةَ بني إسرائيل، وأُمَّةَ الرّوم من ذُرّيَّة إسْحاقَ، ومن هؤلاء الصّالحُ والطّالح، والعادلُ والظّالمُ، حيثُ كان منهم أناسٌ محسنون في أعمالهم، مؤمنون بربِّهم، وكان منهم ظالمون لأنفسِهم، بالكفر والفُسوق والعِصيان[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا﴾:

زيادةُ التَّنويهِ بإبراهيمَ عليه السلام، وما له من خصوصيَّة وإعظام

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ عاطفةٌ لجُملتِها على ما تقدَّمها في قولِه تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، وهي بمعنَى أنَّ اللّهَ زادَ في عِدادِ كرامةِ إبراهيمَ عليه السلام، وتُؤكِّدُ منزلتَه الرَّفيعةَ عند اللّه، خاصَّةً مع ظهورِ صِدقِه ومصابرتِه وثباتِه.

نكتة إسنادِ فعل التَّرك إلى ضميرِ العَظَمة:

بيانُ أنَّ عظيم شأنِ إبراهيمَ عند الله، باقٍ مِن بَعْدِه على الدَّوام

أُسنِد فعلُ التَّرك في الآية الكريمة إلى ضمير العظمة (نا)، وفي إسناد الأفعال إلى الذّات العليَّة ما فيه من الدَّلالة على أهمّيَّة هذه الأفعال وقيمتها بحيث تُسند إلى الله ﷻ دون سواه، وأنَّه يتولّاها بنفسه، وفي هذا المقام كانت العناية بنبيِّنا إبراهيم فوق كلِّ عناية؛ نظرًا لصبره على بلائه العظيم.

بلاغةُ المجازِ في التَّرْك:

إبقاءُ الذِّكرِ الحَسَنِ لإبراهيمَ وابْنِه

حقيقةُ التَّركِ: تخليفُ شيءٍ والتَّخلّي عنه، وهو هنا مُرادٌ به الدَّوامُ على وجْهِ المجازِ المُرسَلِ أو الاسْتعارة؛ لأنَّ شأنَ النِّعَم في الدُّنيا أنَّها متاعٌ زائلٌ بَعْدُ، سواءٌ أطالَ مكثُها أم قَصُر، فكأنَّ زوالَها

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 17.
(2) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 468.

اسْترجاعٌ من مُعْطيها، فَشَرَّفَ اللّهُ إبراهيمَ بأن أبقى ذِكْرَه وابْنَه في الأمم، وحادثةُ البلاءِ الَّذي وقعَ بهما مع صبرِهما وثباتِهما، شاهدٌ على شرفِهما، وعظيمِ منزلتِهما عند اللّه[1].

بلاغةُ التَّضمينِ في تعديةِ التَّركِ بـ (على):

غـايـةُ الإنـعـامِ عـلى إبـراهـيـمَ إعـطـاؤُه بعضَ الفضائلِ المُدَّخرة

حرفُ (على) يتعلَّقُ بفعلِ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾؛ أي: (وتَرَكْنا على إبراهيمَ)، وذلك بتضمينِ هذا الفعلِ معنَى (أنْعَمْنا)، فكان مُقتضَى الظّاهرِ أن يُعدَّى هذا الفعلُ باللّام، فلمّا ضُمِّنَ معنَى (أنْعَمْنا)؛ أفادَ بمادَّته معنى الإبقاء له؛ أيْ: "إعطاء شيءٍ من الفضائلِ المُدَّخرةِ الَّتي يُشبهُ إعطاؤها ترْكَ أحدٍ متاعًا نفيسًا لمَن يُخلّيه هو له، ويَخلُفُه فيه"[2].

ودلَّ الفعلُ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ بتعليقِ حرفِ (على) به، أنَّ هذا التَّركَ من قَبيلِ الإنعامِ والتَّفضيلِ من اللّه على إبراهيمَ وعلى ابنه إسماعيل ﷺ، بإبقاءِ الذِّكرِ الحَسَنِ له في الأُممِ بعدَه[3].

نُكْتَةُ حَذْفِ المفعول في ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾:

التَّنويهُ بمنزلةِ إبـراهـيـمَ وإسـمـاعـيـلَ الخالدةِ

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ ذُكِرَ الفعلُ، وتُرِكَ المفعول؛ للدَّلالة على فخامة المتروك وعِظَمه، أي: تركْنا على الذَّبيحِ شيئًا هو في الحُسْنِ بحيثُ يطولُ وصفُه[4].

هذا لأن الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يجوز أن يعود على الذبيح، ويمكن أن يُرادَ في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: على إبراهيم، فإنَّ السّياقَ في الحديثِ أوَّلًا عليه، ويتبعُه ابْنُه ﷺ، وفي إعادةِ ذِكرِه هنا تأكيدٌ لما سَبَق؛ لزيادةِ التَّنويهِ بإبراهيمَ ﷺ، وإظهارِ منزلتِه عند بارئه ﷻ[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 132.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 133.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 133.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 160.

بلاغةُ الإيجازِ في تقديرِ المحذوفاتِ:

بـيـانُ المـتروك لإبـراهـيـمَ من الذِّكر الحَسَن

شأنُ التَّضمينِ أن يُفيدَ المُضَمَّنُ مفادَ كلمتَيْن، فهو من ألْطَفِ الإيجاز، ثمَّ إنَّ مفعولَ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لمّا كان محذوفًا، وكان مُضمَّنًا الفعل (أنْعَمْنا) وهو ممّا يحتاجُ إلى مُتعلِّقِ معنَى المفعول؛ كان محذوفًا أيضًا مع عاملِه، فكان التَّقديرُ: وتَرَكْنا له ثناءً، وأنْعَمْنا عليه، فحصلَ في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ حَذْفُ خمسِ كلماتٍ، وهو إيجازٌ بديعٌ جليلٌ جميل[1]، ولذلك قَدَّرَ جمهورُ المتقدِّمين من المفسِّرين: (وتَرَكْنا على إبراهيم ذِكْرًا جميلًا وثناءً حَسَنًا)[2].

دلالةُ الظَّرفيَّةِ في قوله: ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾:

ذِكـرُ إبـراهـيـمَ بالثَّناءِ الحَسَنِ دائـمٌ لا يُنسَى، ومُقَرٌّ لا يُنسَخ

في التَّعبيرِ بالظَّرفيَّةِ الزَّمانيَّةِ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ دلالةٌ واضحةٌ في إبقاءِ ذِكرِ إبراهيمَ عليه السلام، والثَّناءِ الحَسَنِ عليه جيلًا بعد جيلٍ، وأُمَّةً بعد أُمَّةٍ إلى يومِ القيامة[3]؛ إذ إنَّ الظَّرفيَّة المجازيَّة هنا تقتضي أن يبقى ذِكره عليه السلام مُتغلغلًا بين الآخرين الذين يأتون بعده، وفي ذلك دلالةٌ على عدمِ نسيانِه البتَّة، فهو ذِكرٌ مستمرٌّ له عليه السلام[4].

معنى (ال) في لفظ ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾:

أفاد تعريف ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ هنا معنى الجنسيَّة الاستغراقيَّة، وذلك ليعمَّ جميع من جاء بعده من أمَّته ومن أمم الأنبياء السّابقين، وفي ذلك تشريفٌ له وتكريمٌ لذِكره.

نُكْتَةُ فصلِ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾:

غـرضُ الـكـلامِ المستأنَف مُطلقُ الاقـتـداءِ بأبي الأنبياء

قولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مستأنَفٌ، أي: سلَّمَ اللهُ تعالى إبراهيمَ عليه السلام؛ ليَقتديَ بذلك البشر، فلا يَذكرُه أحدٌ مِن العالَمين

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 133.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 59، 60 عن ابن عبّاس، ومجاهد وقتادة، والسَّدِّي، والماورديّ، النُّكت والعيون: 5/ 63، والبغويّ، معالم التَّنزيل: 23/ 68.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 96.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.

بسوء، وسلَّم اللّهُ تعالى عليه جزاءً على ما صبرَ طويلًا، من أقوالِ الكَفَرةِ وإذايتِهم له[1]، ويمكن أن يكون سبب الفصل كمال الاتِّصال؛ لكونها مؤكِّدة لمضمون بقاء ذِكره في الآخرين بالسَّلام عليه، ويمكن أن تكون مستانفة بيانيًّا إجابة عن سؤالٍ مقدَّرٍ: وكيف كان ذِكره في الآخرين، فكانت الإجابة أنَّ ذِكرَه قائمٌ بالسَّلام عليه.

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظِ ﴿سَلَٰمٌ﴾:

عمومُ النَّكرةِ في معنى السَّلام، يستغرق كلَّ مناحي الحياة

قولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ﴾ نكرةٌ أفادت التَّعميم والتَّعظيم؛ ليَعُمَّ كلَّ سلام، فهو سلامٌ من السّوءِ في النّيّاتِ والأقوالِ والأعمال، وسلامٌ من أقوالِ الكَفَرةِ وأعمالِهم السَّيِّئة، وسلامُ محبَّةٍ له من جميعِ الأُمَم[2]، وسلامةٌ له ولوَلَدِه، وتسليمُ تحيَّةٍ وتكريمٍ في الدّارَيْن[3].

نُكْتَةُ فَصْلِ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾:

استئنافٌ لبيانِ إحسانِ إبراهيمَ، مع سَبْقِ صِدقِهِ وصَبرِه

جملةُ: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تذييلٌ مستأنَفٌ استئنافًا بيانيًّا جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ بعد ما سبقَ من كرامةِ اللّهِ إبراهيمَ عليه السلام بما وردَ من بيانِ صِدقِه مع اللّهِ وصَبرِه على البلاء، وثباتِه على الحقِّ في مواقفِه مع أبيه والنَّمرودِ وقومِه، وصلابتِه بقوَّةِ الإيمان في تبكيتهم وما هم عليه من عبادةِ الأصنام[4].

نُكْتَةُ تَرْكِ (إنّا) في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾:

الاكْتفاءُ بتقريرِ العناية، بجزاءِ إبراهيمَ على إحسانه

قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل: (إنّا كَذَلِكَ نَجْزي المُحْسِنينَ)، حيثُ إنَّه لَمّا كان إبراهيمُ عليه السلام هو المَجزيَّ؛ اكتُفِيَ بتأكيدِ نظيرِه عن تأكيدِه؛ لأنَّه بالتَّأكيدِ الأوَّلِ حصلَ الاهتمام، فلم يَبْقَ داعٍ لإعادته[5]، واقْتُصِرَ كذلك على تأكيدِ معنَى الجملةِ تأكيدًا

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 9/ 108.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 9/ 108.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 134، 160.
(5) الزَّمخشري، الكشَّاف: 3/ 351.

لفظيًّا؛ لأنَّه تقريرٌ للعنايةِ بجزائه على إحسانِه[1]، قال القنّوجيُّ: "ولم يَقُلْ: إنا كذلك هنا، كما في غيره؛ لأنَّه قد سبق في هذه القصَّة، فاستُخفَّ بتركه اكتفاءً بذِكْره مرَّةً عن ذِكْره ثانيةً"[2].

معنَى الكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وغرضُ التَّشبيه:

بيانُ أنَّ جزاءَ إبراهيمَ نموذجٌ لجزاءِ المحسنين

الكافُ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، بمعنَى مِثْل، أي: مِثْلُ ذلك الجزاء نجزي المحسنين، وغرَضُ التَّشبيهِ التَّنويهُ بإبراهيمَ ﷺ، بأنَّ جزاءَه كان هو المِثالَ والإمامَ لجزاءِ المحسنينَ على مراتبِ إحسانِهم، وتفاوتِ تقارُبِها من إحسانِ إبراهيمَ ﷺ، وقوَّتِه في تبليغِ الدَّعوة، فهو منذُ فُتوَّتِه أوذيَ في اللّه، فسُنَّ الجزاءُ لمَن أوذيَ في اللّه، فلعلَّه أن يكون له كِفْلٌ من كلِّ جزاءٍ يُجزاه أحدٌ على صبرِه؛ إذا أوذيَ في اللّه، فثبتَ لإبراهيمَ بهذا الوصف الإحسانُ، وثبتَ له أنَّه مَثَلٌ للمُحسنين في جزائهم على إحسانهم[3].

دلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارة (ذَٰلِكَ):

إنزال البُعد في الدَّرجة منزلة البُعد في المكان

التَّعبير باسم الإشارة البعيد في موضع القريب هو من إنزال البُعد المعنويِّ منزلة البُعد الحسّيِّ، خروجًا عن مُقتضى الظّاهر دون مُقتضى الحال، وذلك للإشارة إلى عَظَمَة المُشارِ إليه ممَّن أنعم اللّه عليهم من المُحسنين بالجزاءِ العظيم.

نُكْتَةُ إسنادِ الجزاءِ إلى ضميرِ العَظَمَة:

عِظَمُ الجَزاءِ من عِظَمِ المُجازي

أُسْنِدَ الجزاءُ إلى ضميرِ العَظَمَة في قوله تعالى: ﴿نَجۡزِي﴾؛ لبيانِ عِظَمِ هذا الجزاء، فهو جزاءٌ عظيمٌ؛ لِعِظَمِ من يَجْزي به، وهو اللّهُ ﷻ، ولِعِظَمِ مَنْ يستحقُّه - بفضل اللّه - وهو إبراهيمُ ﷺ[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 160.
(2) القنّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 415.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 546، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 134.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿نَجۡزِي﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ عنِ الجزاءِ بالفعلِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿نَجۡزِي﴾؛ للدَّلالةِ عن تجدُّدِ استمرارِ الجزاءِ من اللهِ للمحسنين، والمعنى: "نَجزي المُحْسِنينَ: في عبادة اللّه، ومعاملة خَلْقِه، أن نفرِّجَ عنهم الشَّدائدَ، ونجعلَ لهم العاقبةَ، والثَّناءَ الحَسَن"[1].

اسْتمرارُ الجزاءِ الحَسَنِ للمُحسِنين، من كَرم رَبِّ العالَمين

دلالةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

(ال) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ جنسيّة للاستغراق الحقيقيّ[2]، فهم الكاملون في صفة الإحسان، وكلُّ مَنِ اسْتحقَّ هذه المرتبةَ، فإنَّ اللّه تعالى يجزيه خيرَ الجزاء.

اسْتحقاقُ المحسنينَ لدرجةِ الإحسان، هبةٌ من الكريم المنّان

نُكْتَةُ فَصْلِ قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تعليلٌ لجزائه ﷻ بهذا المَدحِ في سياقِ التَّأكيدِ؛ اسْتعطافًا لهم إلى اتِّباعه في الإيمان، وتكذيبًا لِمَن يُنكرُ أن يكونَ الإيمانُ موجِبًا للإحسان[3]، فالفصلُ لكمال الاتِّصال؛ لأنَّ الجملة في موضع التَّعليل.

تحفيزُ أهلِ المِلَلِ لاتِّباعِ إبراهيمَ في الإيمانِ والإحسان

أو إنَّه ابتداءُ إخبارٍ من اللّه تعالى، لا يتَّصلُ بما تَقدَّمه من الكلام، فهو استئنافٌ لما وردَ في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ وذلك لِما تواردَ معرفتُه مِن أنَّ أهلَ المِلَلِ كلِّها متَّفقةٌ على حُبِّها لإبراهيمَ ﷺ، وكان كلُّهم يدَّعي اتِّباعَه ورُتبةَ قُربه[4].

نُكْتَةُ تتابعِ المؤكِّداتِ في الآيةِ الكريمة:

في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، حظيت الآية بمؤكِّدَيْن: (إنَّ)، والجملة الاسميَّة، والتَّأكيد هنا خرج عن الظّاهر؛

تعليلُ جزاءِ إبراهيمَ؛ لإقناعِ الأُممِ باتِّباعه

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 706.
(2) قباوة، المفصل في تفسير القرآن الكريم، ص: 1602.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 269.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.

إذ إنَّه جاء لِمَن لا يحتاج إلى توكيد، وذلك لوروده في خطاب النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين معه، ولكنَّ الخطاب موجَّهٌ للتَّعريض بالمشركين من قريشٍ الذين انحرفوا عن ملَّة إبراهيم عليه السلام، وأدخلوا في الحنفيَّة السَّمحاء التي تركهم عليها بدعًا من الشِّرك والكفر.

نُكْتَةُ العُدولِ عن الإظهارِ إلى الإضمار:

الإضمارُ بعد الإظهار يأتي أحيانًا للإيجاز

في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، عَدلتِ الآية الكريمة عن إظهار اسم إبراهيم والإشارة إليه بضمير الغائب، وهذا يُسمّى في علم البلاغة إضمارًا بعد الإظهار، ويأتي من باب الإيجاز؛ تفاديًا لتكرار ذِكره.

دلالةُ الحَرفِ ﴿مِنْ﴾ في السّياق:

بعضُ العِبادِ متحقِّق بالعبوديَّة الحَقَّة، ومُؤدّيًا لله حَقَّه

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ تبعيضيَّة، أي: من بعض عبادنا الَّذين تحقَّقوا بمعنَى العبوديَّة، وكانت حياتُهم ترجمةً عمليَّة لها[1]، وقولُه: ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: بما أمر اللهُ مَن تَحقَّقَ بالعُبوديَّة الصِّرفة، المُمَحَّضَةِ لله وحدَه دونَ سواه، والمُتجلّيةِ في الإيمان به، بحيثُ يبلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين والإحسان.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿عِبَادِنَا﴾:

في لفظ العبوديَّة مُضافًا إلى ضمير العَظَمَة تشريفٌ لصاحبه

في الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام بلفظ العبوديَّة رفْعٌ لقدره وتكريمٌ لشأنه، فلفظ العبوديَّة لا يُمنَحُ إلّا لِمَن ارتضاه الله ﷻ أن يكون عبدًا له، ولذا فإنَّ الله تعالى أثنى به على نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ في القرآن في أكثر من موضع: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1]، وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: 10].

(1) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 534.

نُكْتَةُ إضافةِ العبادِ إلى ضميرِ العَظَمة:

تشريفُ العبادِ بإضافتهم إلى الله، رَفْعٌ لشأنهم، وعُلوٌّ لمقامهم

في إضافة العبادِ إلى ضميرِ العَظَمةِ في قوله تعالى: ﴿عِبَادِنَا﴾، تشريفٌ لِمَن أُسْنِدوا إلى اللهِ في عبوديَّتِهم إليه، وهمُ الَّذين أعْطَوا العبوديَّةَ حقَّها[1]، فكانت حياتُهم قائمةً على التَّحقُّقِ بها، كما قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: 138].

دلالةُ (ال) والوصف بلفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

بيانُ أنَّ المؤمنين همُ الرّاسخونَ في الإيمانِ بإيقان

(ال) في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عهديَّة ذهنيَّة يُراد بها أولئك المُتَّصفون بالإيمان الخالص لله تعالى، ويمكن أن تكون استغرافيَّة على معنى: أولئك الذين تحقَّقت فيهم كلُّ خصال الإيمان، وقد وُصفوا بهذا الوصف؛ لأنَّهم من الرّاسخينَ في الإيمانِ على وجْهةِ الإيْقانِ والاطْمئنان[2]. كما أنّ في وصفِ العبادِ بكونهم مؤمنينَ تنبيهٌ على عِظَم قدرِ الإيمانِ، وأنَّه من صفاتِ المَدْحِ والتَّعظيم[3]، فلا يَطمَع أحدٌ عَرِيٌّ عنِ الإيمانِ في رُتبةِ اتِّباعِه[4].

دلالةُ موقعِ ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

العبوديَّة تتحقَّق بكمال الإيمان

هذه الجملة في محلِّ رفع خبر (إنَّ)، وفي الإخبار عنه بأنَّه واحدٌ من المؤمنين دون أن يكون أوحَدَهم ما يشعر بأنَّ الإيمان لا بدَّ أن يكون شعارًا لجميع العباد، وليس حكرًا على بعضهم، وهذا يدلُّ على أنَّ كمال العبوديَّة لا يتحقَّق إلّا بهذا الإيمان.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ بالجَمْع:

تحقُّقُ إبراهيمَ بصِفَتي الإحسانِ والإيمان، مَسلَكٌ لاكتمال نُبوَّته

التَّعبيرُ باسْم الفاعلِ بصيغة الجمع في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه كان ﷺ مُتلبِّسًا بالإحسانِ والإيمان، متمكِّنًا منهما، حتَّى أصبحتا صفةً له وصِبغةً اصْطبغَ بهما لا تنفكّان

(1) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 534.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 546.
(3) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 3/ 127.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.

عنه، أي: إنَّما خَصَصْنا إبراهيمَ ﷺ بالذِّكرِ الحَسَنِ، والثَّناءِ الجميلِ، في ألسنةِ الأُمَمِ بعدَه؛ لأجلِ أنَّه كان مُحسِنًا، ثمَّ علَّل كونَه مُحسنًا، بأنَّه كان عبدًا للّهِ مؤمنًا، فهو بهذا نالَ أعظمَ الدَّرجاتِ، وأشرفَ المقاماتِ، فهو من المُحسنينَ والمؤمنين[1]، فكما جَزَينا إبراهيمَ كونَه مُحسنًا مؤمنًا، فكذلك نَجزي كلَّ المُحسنين والمؤمنين[2].

معنى الواو في قوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾:

بشارةُ إبراهيمَ تأكيدٌ على عُلوِّ منزلته، وجزائِه على مصابرته

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ حرفُ عطفٍ على ما تقدَّمه؛ ذلك أنَّه لَمّا أتمَّ قِصَّتَه في أمرِ الذَّبيح، وشرعَ في ذِكرِ ما جازاه به على ذلك، جعل منه أمرَ إسحاقَ ﷺ، فكان تأكيدًا لمنزلةِ إبراهيمَ في إحسانِه وإيمانِه، وجزاءً على صبرِه في المبادرةِ إلى امْتثالِ أمرِ اللّهِ في ذَبْحِ ابْنِه إسماعيلَ ﷺ[3].

غرضُ إسناد ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾ إلى ضميرِ العظَمة:

صاحبُ البِشارةِ هو اللهُ المجازي للمُحسنين

لَمّا كان الجزاءُ الحَسَنُ من اللّهِ لا من غيرِه، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ جاءَ إسنادُ البُشرَى إلى ضميرِ العظمةِ مُتَّسقًا مع المُجازي، فقال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾ أي: جزاءً من لدُنّا نحن الإلهُ، بعظمتِنا وقدرتِنا[4].

معنَى الباء في قوله: ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾:

الباء في أصل معانيها تدلُّ على المُلابسة والمُصاحبة، فالبُشرى هنا مُلتبسة به، ولا تنفكُّ عنه، ويمكن أن تكون هنا باء التَّعدية والنَّقل.

معنَى البِشارةِ في قوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾:

البشارة تتعلَّق بالمعاني لا بالذَّوات

معنى البِشارةِ بإسحاقَ ﷺ، البِشارةُ بولادتِه له؛ لأنَّ البِشارةَ لا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 340.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 350.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.

تتعلَّق بالذَّوات؛ بل تتعلَّقُ بالمعاني[1]، "وفي ذكر الصَّلاح بعد النُّبوَّة تعظيمٌ لشأنه، ولا حاجة إلى وجود المُبشَّر به وقتَ البِشارة، فإنَّ وجود ذي الحال ليس بشرط، وإنَّما الشَّرط المقارنة للفعل"[2].

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظ ﴿نَبِيًّا﴾:

دلَّ تنكيرُ قولِه تعالى: ﴿نَبِيًّا﴾ على تعظيمِ إسحاقَ ﷺ، حيثُ جاءتِ البِشارةُ بأعظمَ مهمَّةٍ تُسنَدُ إلى رجُلٍ في المستقبل، وهذا الأمرُ في قضاءِ اللّهِ بوجودِ نبيٍّ مُقَدَّرَة نبوَّتُه[3].

دلالةُ موقع لفظ ﴿نَبِيًّا﴾:

البِشارةُ بولادةِ إسحاقَ مقرِّرَةٌ كونَه نبيًّا منتظرًا

جاء لفظُ ﴿نَبِيًّا﴾ منتصِبًا على الحالِ من إسْحاق[4]، فيجوزُ أن يكون حكايةً للبِشارة، فيكونَ الحالُ حالًا مُقدَّرًا؛ لأنَّ اتِّصافَ إسْحاقَ بالنُّبوَّة بعد زمنِ البشارةِ بمدَّةٍ طويلة، بل هو لم يكن موجودًا، فالمعنَى: وبشَّرناهُ بولادةِ ولدٍ اسْمُهُ إسحاقُ، مُقَدَّرًا حالُه أنَّه نبيٌّ[5].

دلالة ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حرف جَرّ للتّبعيض[6]، أي: إنَّ إسْحاقَ ﷺ صالحٌ من الصّالحين، وحالُه من حالِهم[7].

معنى (ال) في ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

(ال) في قوله: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لتعريف ماهيّة الجنس، أي: أنّ إسْحاقَ ﷺ من العريقين في رُتبةِ الصَّلاح؛ ليصْلُحَ لأكثرِ الأوصافِ الصّالحة[8].

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 161.
(2) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 415.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.
(4) العكبريّ، إملاء ما مَنَّ به الرَّحمن: 2/ 207، والسَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 324.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 351، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 161.
(6) قباوة، المفصل في تفسير القرآن الكريم، ص: 1606.
(7) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.
(8) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.

دلالةُ موقع: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

الثَّناءُ على إسحاقَ في صفتِه وحالِه بتأكيد صلاحه

قولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يجوز أن يكون صفةً لـ ﴿نَبِيًّا﴾، وأن يكون حالًا من الضَّمير في ﴿نَبِيًّا﴾، فتكون حالًا مُتداخِلة، ويجوز أن تكون حالًا ثانية[1]، وورود ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ هنا على سبيلِ الثَّناءِ والتَّقريظِ؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ لا بدَّ أن يكونَ من الصّالحين[2].

معنى الواو في قوله: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾:

أثرُ العطفِ في تأكيد بركة جزاءِ إبراهيمَ في نَفْسه وذُرّيّته

الواوُ عاطفةٌ لجملتِها، في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على ما تقدَّمها، وقد أفادَتْ تأكيدَ ثناءِ اللّه، وعظيمَ عطائِه لإبراهيمَ في نفسِه وولَدِه ﷺ، فالَّذي حصلَ لإبراهيمَ ﷺ، لم يحصل لغيرِه مثلُه، وكان من أعظمِ جزاءِ الإنسانِ البَرَكةُ في ذُرّيَّته[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿وَبَٰرَكْنَا﴾:

بيانُ أنَّ البَرَكة خيرٌ في الدّين والدُّنيا على إبراهيمَ وإسحاقَ وذُرّيّتِهما

(باركَ) في قوله: ﴿وَبَٰرَكْنَا﴾، أي: جعلَهُ ذا بَرَكة، والبَرَكةُ زيادةُ الخيرِ في مختلفِ وُجوهِه[4]، ومجيئُه في صيغةِ الماضي لتحقُّقِ البَرَكةِ في إبراهيمَ وإسحاقَ ﷺ، ببرَكةٍ من اللّهِ تعالى، ومعناها: أفَضْنا عليهما بركاتِ الدّين والدُّنيا، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: 27]، ويجوزُ أن يكون المعنى: باركْنا على إبراهيمَ في أولادِه، وعلى إسْحاقَ بأنْ أخْرَجْنا أنبياءَ بني إسرائيلَ من صُلبه[5]، وأبقيْنا الثَّناءَ الحَسَنَ على إبراهيمَ وإسحاقَ إلى يومِ القيامة؛ لأنَّ البَرَكةَ عبارةٌ عنِ الدَّوامِ والثَّبات والنَّماء[6].

(1) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 325، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 534.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 351.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 269.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 162.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 351.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 351.

نُكْتَةُ تعديةِ البَرَكة بالحرف (على):

تمكُّنُ البَرَكةِ من الإحاطةِ بإبراهيمَ وولدِه وذرّيّتهما

جاءَ تعديةُ البركةِ بـ (على) في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾؛ للدَّلالة على الاستعلاءِ المجازيِّ، أي: تمكُّنِ البَرَكةِ من الإحاطةِ بهما إحاطةَ الإسْورةِ من المِعْصَم[1]، ومعنى ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، أي: كَثَّرنا الخيرَ والبَرَكةَ على إبراهيم، وكذا على ابنه إسْحاقَ، وكثَّرنا نسلَهما[2]، وعلى ذلك: فاستعمالُ حرفِ العُلوِّ (على) مستوعِبٌ لمعنى الشُّمول، الَّذي تكون فيه البركة مستغرقةً للسَّلَف والخَلَف، ومتجدِّدةً بتلاحق الأجيال، ومُنبئَةً عن شرف الأصل، وطيبِ المَحتَدِ، وورودِ الصَّلاح في الجُدود الأنبياء، والأحفادِ الأتقياء، ويمكن أن يكون قد ضمَّن فعل البركة الفعل ﴿أَنْعَمْنَا﴾ الذي يتعدّى بالباء، والمعنى: "أنعمنا عليه بالبركة"؛ إذ يجتمع في التَّضمين قوَّة الفعلَيْن.

نُكْتَةُ عطفِ البَرَكةِ على الابْنِ بعد الأب:

بيانُ أنَّ أنبياءَ بني إسرائيل من صُلْبِ إسحاقَ عليه السلام

عطفَ النَّظمُ الكريمُ البَرَكةَ على الابْنِ بعد الأبِ، في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ البَرَكةَ كانت في إبراهيمَ عليه السلام وفي أولادِه، و﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ خاصَّةً، بأنْ أخرجَ اللهُ أنبياءَ بني إسرائيل من صُلْبه، وقيل: إنَّه خرجَ من صُلْبِه ألفُ نبيٍّ، أوَّلُهم يعقوبُ وآخرُهم عيسى بنُ مريمَ عليه السلام، وهذا تابعٌ لمعنى إفاضةِ بركاتِ الدّينِ والدُّنيا عليهما[3].

نُكْتَةُ الإظهارِ في موضعِ الإضمارِ:

تعيينُ البِشارةِ بإسحاقَ بعد إسماعيلَ مِن لُطْفِ اللهِ بالخليل

أظهرَ النَّظمُ الكريمُ اسْمَ ﴿إِسْحَٰقَ﴾ عليه السلام؛ للدَّلالةِ على أنَّه بعد البِشارة بالغلامِ الحليمِ إسماعيلَ عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصّافات: 101]، جاءتِ البشارةُ الأخرى لإبراهيم مَكْرُمةً له،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 162.
(2) علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 2/ 220.
(3) الزَّمخشري، الكشَّاف: 3/ 351، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 547.

وهذه البِشارةُ هي الَّتي ذُكِرتْ في القرآنِ في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: 71][1]، والمعنى هنا: "أي: وبشَّرناه بوجود إسحاق نبيًّا، أي: بأن يوجد مُقَدَّرةً نُبوَّتُهُ"[2].

نُكْتَةُ تعيينِ أنَّ المُبَشَّرَ باسْمِهِ ﴿إِسْحَٰقَ﴾:

في ذِكْر ﴿إِسْحَٰقَ﴾ دون غيره إشارةٌ لما سيأتي في الحديث عن موسى وهارون وهما من ذرّيَّته، وجُلُّ الأنبياء كانوا من ذرّيَّته، وفي ذِكرِه إيضًا إشارةٌ إلى أنَّ المُفتدى من أولاد إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل عليه السلام.

جُـلّ الأنـبـيـاء كانوا من صُلب إسحق عليه السلام

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾:

الواو هنا قد تكون استئنافيَّة؛ لأنَّ ما بعدها كان حديثًا مُنفصلًا عن الحديث عن البركة، ويمكن أن تكون عاطفة؛ إذ عطفت بعض الأخبار على بعضها، فقد أخبر ﷻ عنه أنَّه من عباده المؤمنين، وأنَّه بشَّره بإسحق نبيًّا، وأنَّه قد بارك فيه وفي أبيه، وأنَّ ذرّيَّته سيكون منهم الصّالح والطّالح، ويمكن أن تكون الواو للحال على معنى: باركنا على إبراهيم وابنه إسحق؛ إذ كان الحال أنَّ مِن أبناء إسحق مَن سيكون على نهج أبيه وجدِّه، ومنهم مَن سيخرج عن نهجهم ودينهم.

تـتـنـوَّع مـعـاني الـــواو بحسب المعاني المحتملة

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الذُّرِّيَّة):

لَمّا ذكرَ ﷻ البَرَكةَ في الذُّرِّيَّة في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾؛ جاءَ التَّعبيرُ بلفظِ الذُّرِّيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾؛ لبيانِ أنَّ كَوْنَ الذُّرِّيَّةِ من هذا العنصرِ الشَّريفِ المباركِ ليس بنافعٍ لهم، بل إنَّما ينتفعون بأعمالِهم لا بآبائهم، فإنَّ اليهودَ والنَّصارَى، وإن كانوا من ولَدِ إسْحاق، فقد صاروا إلى ما صاروا إليه من الضَّلالِ البيِّن، والعربُ وإن كانوا من ولدِ إسماعيل، فقد ماتوا على الشِّرك إلّا مَنْ أنقذَه اللّٰهُ بالإسلام[3].

قـــد لا يـكـون صلاحُ الأبناءِ أو فسادُهم منوطًا ضرورةً بآبائهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 161.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 614.
(3) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 535.

نُكْتَةُ إضافةِ ﴿ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ إلى ضميرِ المثنّى:

ذُرّيَّةُ إبراهيمَ وإسْحاقَ، مختلفون في الإيمانِ والكفران

إضافةُ الذُّرِّيَّةِ إلى ضميرِ إبراهيمَ وإسْحاقَ ﷺ؛ للدَّلالةِ على الاخْتلافِ الواقعِ في ذُرِّيَّتِهما، فمِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ ﷺ أنبياءُ وصالحونَ ومؤمنون، ومِن ذُرِّيَّةِ إسحاقَ مِثلهم، ومِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ مَنْ حادوا عن سَنَنِ أبيهم، مِثل مشركي العرب، ومن ذُرِّيَّةِ إسْحاقَ كذلك مِثل مَنْ كفرَ مِن اليهود بالمسيحِ ﷺ وبمحمَّدٍ ﷺ.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبهِ الجملة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾:

بيانُ أنَّ فسادَ الخَلَفِ لا يُؤاخَذُ به السَّلف

تقديمُ شِبهِ الجملة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ ذُرِّيَّتَهما ليس جميعُها كحالِهما، بل هم مختلفون في الإيمانِ والصَّلاحِ والكفرِ والطَّلاح، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الخبيثَ والطَّيِّبَ لا يجري أمرُهما على العِرْقِ والعُنْصر، فقد يلدُ البَرُّ الفاجرَ والفاجرُ البَرَّ، وأنَّ فسادَ الأعقابِ لا يُعَدُّ غَضاضةً على الآباء، وأنَّ مناطَ الفضلِ هو خِصالُ الذّات، وما اكْتسبَ المرءُ من الصّالحات، وأمّا كرامةُ الآباءِ؛ فتكملةٌ للكمالِ، وباعثٌ على الاتِّسام بفضائلِ الخِلال، فكان في هذه التَّكملةِ إبْطالُ غرورِ المشركين، بأنَّهم من ذُرِّيَّةِ إبراهيم؛ لأنَّها مَزِيَّةٌ، ولكنْ لا يُعادِلُها الدُّخولُ في الإسلام، وأنَّهم الأوْلى بالمسجدِ الحرام[1].

سرُّ تنكيرِ لَفْظَي ﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾:

بيانُ أنَّ عمومَ المحسنينَ والظّالمينَ مِن ذُرِّيَّةِ النَّبيّين المُرسَلين

تنكيرُ قولِه تعالى: ﴿مُحْسِنٌ﴾ لإفادةِ العموم، أي: كلُّ مُحْسِنٍ مِنَ الأنبياء والمرسلين والمؤمنين من ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وإسحاق، وتنكيرُ قولِه تعالى: ﴿وَظَالِمٌ﴾ لإفادةِ العموم، أي: كلُّ كافرٍ وفاسقٍ من ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وإسحاقَ[2]، ويمكن أن يكون غرض التَّنكير مع المحسن مفيدًا للتَّفخيم والتَّعظيم والتَّكثير، وأمّا مع الظّالم؛ فمفيدٌ للتَّحقير والتَّقليل.

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351، 352، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 162.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 351.

نُكْتَةُ إفرادِ ﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾:

مناطُ الفضلِ في خِصالِ الذّات، ومناطُ السّوءِ في مثالِبها

إفرادُ ﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على مَن كان مُحسنًا في ذاتِه، وهو مُحاسَبٌ عليها دونَ غيرِه، ومن كان ظالمًا في ذاتِه، وهو محاسَبٌ عليها دون غيرِه، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدّثر: 38]، وقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: 18]، وفيه تنبيهٌ على أنَّ فسادَ الأعقابِ لا يُعَدُّ غَضاضةً على الآباء، وأنَّ مَناطَ الفَضْلِ هو خِصالُ الذّات، وما اكْتسبَ المرءُ من الصّالحات، وأنَّ مَناطَ السّوءِ هو مَثالبُ الذّات، وما اكْتسبَ المَرءُ من المنكرات[1].

نُكْتَةُ وصفِ الظّالم بلفظ ﴿مُبِينٌ﴾:

تـجـاوزُ حـدودِ اللهِ غايةُ ظُلمِ النَّفْس، وخَرْقِ قوانين الفضيلة

لَمّا كان الإنسان - وإنِ اجْتهدَ في الإحسان - لا بُدَّ أن يحتاجَ إلى الغُفران، لما له من النُّقصان؛ لأنَّ رُتبةَ الإلَهيَّةِ لا تَصِلُ إلى القيام بحقِّها العوائقُ البشريَّة؛ بيَّن ﷺ أنَّ الظُّلمَ المرادَ هنا إنَّما هو التَّجاوزُ في الحدودِ بغايةِ الشَّهوة، فقال تعالى: ﴿مُبِينٌ﴾ غايةَ الإبانة[2]، والمعنى: أنَّه ظالمٌ لِنَفْسِه بالكفر، مُبينٌ ظاهرٌ كفرُهُ، أو ظالمٌ لنفسِه بتعدّيه على حدود الشَّرع[3]، والإبانة: مجاهرةٌ بالفُسوق، ومباشرةٌ للعقوق.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الذُّرِّيَّةُ والنَّسْلُ والأبناءُ والأولادُ والخَلَف:

تفيدُ الذُّرِّيَّةُ والنَّسْلُ والخلَفُ العمومَ، ويُفيدُ الأبناءُ والأولادُ الخصوصَ

ذُرِّيَّةُ الرَّجُلِ: ولدُه، قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128]، والذُّرِّيَّةُ تنتظمُ الأولادَ والذُّكورَ والإناث، كما في قوله

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 162.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 270.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 615.

تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: 84]، ثمَّ أدخلَ عيسى ﷺ في ذُرّيَّته، فقال: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: 85][1].

والأبناءُ: يختصُّ به أولادُ الرَّجُلِ وأولادُ بناته؛ لأنَّ أولادَ البناتِ منسوبون إلى آبائهم، والابْنُ يفيدُ الاختصاصَ ومداومةَ الصُّحبة، وتقول: تبنَّيتُ ابْنًا؛ إذا جعلتَه خاصًّا بك، ويجوز أن يقالَ: إنَّ قولَنا: هو ابْنُ فلان، يقتضي أنَّه منسوبٌ إليه، ولهذا يقال: النّاسُ بنو آدم؛ لأنَّهم منسوبون إليه، وكذلك بنو إسرائيلَ؛ لأنَّهم منسوبون إلى يعقوبَ ﷺ، وهو إسرائيل.

وأمّا الولدُ؛ فيقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابْنُ، والابْنُ يقتضي أبًا، والولدُ يقتضي والدًا، ولا يُسمَّى الإنسانُ والدًا إلّا إذا صارَ له ولدٌ، وليس هو مثلَ الأب؛ لأنَّهم يقولون في التَّكْنية: أبو فلان، وإن لم يلدْ فلانًا، ولا يقولون في هذا والدُ فلان.

والابْنُ للذَّكَر، والولدُ للذَّكرِ والأُنْثَى، والنَّسْلُ والذُّرّيَّةُ يقعُ على الجميع[2].

وأمّا الخَلْفُ؛ فيقالُ لمَن جاء بعد الأوَّل: خَلْفُ شرٍّ كان أو خير، والخَلْفُ أيضًا: القَرْنُ بعدَ القَرْن، يقال: هؤلاء خَلَفٌ - بالتَّحريك - لما جاء مِن بعدُ، يقالُ: هو خَلَفُ سوءٍ من أبيه، وخَلَفُ صِدقٍ من أبيهِ؛ إذا قامَ مقامَهُ، ومنهم مَن يُحرِّك اللّامَ، ومنهم من يُسَكِّنُ فيهما جميعًا؛ إذا أضاف، ومنهم من يقول: خَلَفُ صدقٍ بالتَّحريك، ويُسكِّنُ الآخَرَ للفرقِ بينهما، والخَلَفُ أيضًا بالتَّحريك، ما اسْتخلفتَه من شيء، والولدُ مستخلَفٌ من أبيهِ[3].

والنَّسْلُ: الوَلَدُ، لكونِه ناسلًا عن أبيه، قال تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205]، وتناسلوا: توالدوا[4].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 12، والرَّاغب، المفردات: (ذر، ذرأ، ذرو).
(2) العسكريّ، الفروق، ص: 12، 13، والكفويّ الحسينيّ، الكلِّيَّات: 5/ 50.
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 223، 224، وابن منظور، اللِّسان: (خلف).
(4) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، اللِّسان: (نسل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»